من هنا وهناك

روسيا السوفيتية والدراسات الشرقية

قد يكون من واجبنا أن نعنى بتتبع الدراسات الشرقية فى بلاد أوربا ، وربما كنا على علم كبير بما يجرى فى هذا الباب فى بلاد مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا لما بيننا وبين هذه البلاد من اتصالات علمية ، ولكن الأحوال السياسية بعد الحرب العظمى الأولى قضت بأن نكون بعيدين عن تتبع سير الدراسات الشرقية فى روسيا السوفيتية . وقد وقفنا أخيراً على معلومات طريفة فى هذا الباب من مقال للعالم الروسى تيخونوف نشره عن معهد الدراسات الشرقية فى روسيا السوفيتية ، وهو معهد يؤلف قسما من أكاديمية العلوم السوفيتية ، ونقلت هذا المقال نشرة الصحافة السوفيتية التى تصدرها المفوضية السوفيتية فى مصر — عدد ٩ فبراير — ولسنا بمستطيعين نقل هذا البحث بأكمله لطوله . ولكننا سنحاول أن نجيء بأهم ما جاء فيه من بيانات .

استهل الكاتب مقاله بذكر تاريخ الدراسات الشرقية التى قام بها الروس ، وذكر أن بطرس الأكبر كان أول من رأى ضرورة هذه الدراسات حين أصدر مرسوماً فى سنة ١٧٠٠ عن تعليم اللغات الشرقية للروسيين . وعندما أنشئت أكاديمية العلوم فى مدينة بطرسبرج سنة ١٧٢٥ ، كان هنالك أشخاص تعلموا اللغات الشرقية فى بعثات أرسلت إلى بلاد الشرق ، بفضل المرسوم الذى أصدره بطرس الأكبر . ومع ذلك لم يبدأ تعليم اللغات الشرقية فى بعض المدارس العليا الروسية إلا فى القرن التاسع عشر . وفى ١١ نوفمبر سنة ١٨١٨ أنشئت أكاديمية العلوم المتحف الأسيوى ، وجمعت له كتب ومخطوطات ونقود ونقوش من مجموعة الكتب التى اقتناها بطرس الأكبر . وهكذا نشطت الدراسات الشرقية فى روسيا ، واهتم علماء كثيرون بهذه الدراسات ، وبرزت أسماء العلماء الروسيين فى سمائها . ونذكر منهم روزن Rosen الذى كان زعيم المدرسة الروسية للدراسات العربية ، ومار Marr الذى أنشأ نظرية حديثة هى النظرية المادية للغة ، وبارتولد Bartold مؤرخ الشرق الشهير .

وعند ما انتشر الرخاء فى ربوع البلاد السوفيتية ، وتقدمت الثقافة والعلم ، اتسعت الواجبات فى نطاق الدراسات الشرقية بأكثر مما يتحمله نشاط المتحف الأسيوى . وعلى ذلك أنشئ معهد الدراسات الشرقية فى أكاديمية العلوم . وضم إلى هذا المعهد جميع الأقسام التى أنشئت من قبل وتمت إلى الدراسات الشرقية ، مثل معهد الدراسات البوذية ومعهد الدراسات التركية ، وكلية المستشرقين . وضم إلى المعهد جميع العلماء الباحثين فى هذه الدراسات من أمثال كراتشكوفسكى Kratchkovsky وهو اسم معروف عند علماء العالم بأسره . ويشرف على كل قسم من أقسام هذا المعهد عالم مختص فى مادته ؛ فالأستاذ الكسييف Alexeiev يرأس قسم الدراسات الصينية ،

والأستاذ بارانيكوف Barannikov يرأس الدارسات الهندية ، وكوزين Kozine للغة المنغولية وثقافتها ، وسترفيه Strouvé للشرق القديم ، وكونراد Konrad للحضارة اليابانية وفريمان Freiman وبرتل Bertel للدراسات الايرانية ، وجوردنفسكى Gordlevsky مختص بالدراسات التركية .

ومن أهم ما يعنى به المعهد إخراج القواميس بهذه اللغات ، وقد أخرج طائفة منها ، وهى أقرب إلى الموسوعة منها إلى كتب اللغة .

ويهتم المعهد اهتماماً خاصا بدراسة تاريخ هذه اللغات . ومن أهم ما أخرجه من الكتب فى هذا الباب أجرومية اللغة الصينية فى جزأين ، يعنى الأول منهما باللغة القديمة ويعنى الثانى باللغة الحديثة .

ونشطت الدراسات الأدبية فى محيط اللغات الشرقية . وقد أصدر المعهد كتاباً أساسيا عن الأدب الجغرافى العربى ، وهو مؤلف لم يتم بعد . كما أن القسم الأول من كتاب فى تاريخ الأدب الفارسى هو الآن تحت الطبع .

والدراسات التاريخية كثيرة . وقد اهتم المؤرخون الروسيون بدراسة أصول الحياة فى البلاد الشرقية فى القرون الوسطى ، فدرسوا النظام الاجتماعى عند الشعوب البادية ، وخصائص المدنية الشرقية فى القرون الوسطى ، وإقامة الرحل حول الواحات واتخاذهم عادات المتحضرين ، وقيام الامبراطوريات الشرقية وتفككها ، وغير ذلك من الأمور التى تلقى ضوءاً على مشكلات التاريخ .

ونشر المعهد منذ إنشائه أكثر من ثمانين مؤلفاً بعضها بحوث وبعضها نصوص . وليس من المستطاع تعداد أسماء هذه المؤلفات ولكننا نذكر أهمها : فمن ذلك كتاب العالم فلاديمير تزيف Vladimirtzev عن الهيئة الاجتماعية بين المنغول وتأليفها . ونشر العالم إيفانوف Ivanov وثائق المحفوظات لدى خانات خيفا فى القرن التاسع عشر ، كما نشر أبحاثاً فى تاريخ قره كولباك .

وأصدر جوردلفسكى مؤلفا ضخما عن دولة السلجوق فى آسيا الصغرى .

ونقلت رحلة ابن فضلان على نهر الفولجا إلى اللغة الروسية ، كما صدرت ترجمة روسية جديدة للجزء الثالث من تاريخ رشيدالدين الشهير باللغة الفارسية .

واتسع قسم المخطوطات بالمعهد اتساعا كبيراً ، فصار من أهم مجموعات المخطوطات فى أوربا . ففيه ما يزيد على أربعين ألف مخطوط ومنها ماهو نادر . ومن أكبرها قسم المخطوطات العربية ، وفيه أكثر من ١٢ ألف مخطوط . ومن أهمها تاريخ المنصور للحموى وهى نسخة بخط المؤلف ، ومنها مخطوط للجزء الخامس من تجارب الأمم لابن مسكويه وهى نسخة كتبت فى القرن الخامس عشر .

وفى المجموعة من الشعر نسخة كاملة لكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، ونسخة من كتاب الكامل للمبرد تاريخها سنة ١١٤٢ وأقدم نسخة لديوان جرير من القرن العاشر ، ومخطوطة جميلة لديوان الأخطل ، كتبت فى القرن الثالث عشر ونسخة نادرة جداً لديوان الشاعر الأموى ذى الرمة ، ومخطوط نادر لديوان أبى نواس ، ومخطوط آخر نادر من القرن الثالث عشر لديوان ابن قزمان الشاعر الأندلسى ، ومجموعة أشعار أسامة بن منقذ ، ومجموعة أشعار الشاعر المصرى ابن تغرى بردى وقد كتبت فى عصره

ومن الطرائف فيما يتعلق بادب البلدان ثلاث منظومات نظمها أحمد بن مجيد ، دليل

المستكشف فاسكوى دجاما، فى وصف الطرق البحرية فى المحيط الهندى، ووصف لرحلة بطريرك أنطاكية بروسيا فى القرن السابع عشر.

وفى العلوم الرياضية توجد مخطوطة لمبادئ أقليدس تاريخها سنة ١١٨٨، ومجموعة لرسائل ابن الهيثم، وكتاب فى الفلك لنصر الدين الطوسى.

ومن أهم المخطوطات نسخة للقرآن الكريم بالخط الكوفى كتبت فى القرن التاسع، ومخطوط للتوراة باللغة العربية كتب فى دمشق سنة ١٢٣٦.

أما مكتبة المعهد فتحتوى على ٧٠٠ ألف مجلد مكتوبة بأكثر من ٦٠ لغة أوربية وشرقية. ومما يدل على اتساعها اتساعاً كبيراً أن مكتبة المتحف الأسيوى فى سنة ١٨٤٤ كانت تحتوى على ٣٠٦٧ مجلد. وفى سنة ١٩١٨ كانت تحتوى على نحو ٣٥ ألف مجلد.

وتتصل هذه المكتبة بالمعاهد المختلفة فى روسيا السوفيتية وفى الخارج وتعيرها كتبها. كما يتصل المعهد نفسه بجميع الهيئات التى تعلم اللغات الشرقية أو تدرسها فى روسيا وفى الخارج.

ويقوم مجلس المعهد بدراسة الرسائل التى تقدم إليه من جمهوريات الاتحاد السوفيتى كما أنه يساعد الطلبة الذين يقبلون على الدراسات الشرقية بالمنح المالية. وهكذا يقوم بعمله فى نشاط وجد.

ع.

وفاة العالم الهندى الدكتور أنند كمار سوامى

(١٨٧٧ — ١٩٤٧)

فقدت الهند بوفاة الدكتور أنند كمار سوامى ركناً من أركانها العلمية ذا شهرة عالية فى فلسفة الفن وصاحب نظرية خاصة فيها.

ولد أنند كنتيش كمار سوامى بن السير موتو كمار سوامى فى سنة ١٨٧٧ م فى جزيرة سيلان، وتعلم بالهند، فلما كمل التعليم الابتدائى والثانوى التحق بجامعة لندن ونال منها الدكتوراه فى العلوم D. Sc. وعين بعد ذلك مباشرة زميلا Fellow فيها، ومن سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ تولى منصب المدير لمصلحة مساحة الثروة المعدنية فى سيلان، فأول منشوراته كانت تقاريره عن جيولوجيا تلك الجزيرة، وما صنفه فيما بعد فهو فى الفن، وعلم الاجتماع وما وراء الطبيعة. ولع كمار سوامى بالفن عن طريق العلم، فباكورة مصنفاته فيه فى الغالب إيضاحية وتاريخية. فكتابه مثلا فى الفنون والحرف فى الهند وسيلان وهو الذى نشره فى سنة ١٩١٣ يعد لدى أهل العلم كتاب المرجع فى الموضوع. وفى مقدمة هذا الكتاب صدرت من قلمه جملة أومأت إلى مخايل الاتجاه المقبل فى فكره وتقدمه وتطوره الممكن، وتلك الجملة: إن الهنود لم يعتقدوا أصلا فى المبدأ — الفن للفن، بل كان مبدؤهم فيه كمبدأ أوربا القرون الوسطى الفن لأجل المحبة.

ونشر من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٢ كتابه « الرسوم الهندية » فى مجلدين، ثم فى سنة ١٩١٦ كتابه « بوذا وكتاب

البوذية الملهم » . وفى سنة ١٩١٧ انتقل إلى أمريكا وعين زميلا للبحث فى الفنون الهندية والفارسية والاسلامية فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن واستمر فى هذا المنصب إلى آخر حياته . ونشر فى سنة ١٩١٨ كتابه « رقص الاله شيوا » . وفى سنة ١٩٣٣ بحثه « اقتراب جديد من ويدات » احتوى على ترجمتها وتفسيرها . وفى سنة ١٩٣٤ كتابه « تغير الطبيعة فى الفن » شمل نضوج نظريته فى الجمال التى يمكن أن تعتبر جميع مصنفاته الايضاحية والتاريخية السابقة مقدمة لها . ثم نشر فى سنة ١٩٣٧ كتابه « هل الفن خرافة أو طريق للحياة ؟ » ، وفى سنة ١٩٤٣ كتابه « لم تعرض نتائج الفن ؟ » أبان فيهما الوضع العقلى والعملى لنظريته . وفى سلسلة أخرى عنوانها « صور الكلام أو صور الفكر » شرح وجهة التقليد والعادة فى الفن بمباحث متتابعة علمية دقيقة .

كان كارسوامى من مؤسسى النهضة للتعليم الوطنى فى الهند ، وعدا منصبه الآنف الذكر بأمريكا كان زميلا فى جمعية لينيا Linnean Society وجمعية علماء طبقات الأرض ، وعضواً فى الجمعية الآسيوية الملكيه ، وأمد بمقالاته العلمية غير واحدة من المجلات العلمية البريطانية وغير البريطانية ، وكذلك ساهم بها فى دائرة المعارف الانجليزية وأيضاً فى قاموس وبستر الدولى الجديد (الطبع الثانى) الأمريكى .

توفى كارسوامى فى ٩ سبتمبر الماضى فى مدينة نيدهام (ميساشوستس) بأمريكا بالغاً السبعين من عمره وتاركا بنتاً وابنين . وكان العلماء من أقطار العالم المختلفة ساهموا بمباحثهم العلمية فى إخراج كتاب بعنوان « الفن والفكر » للتقديم إليه احتفالا ببلوغه السبعين واعترافاً بعلمه وفضله ، ولكنه انتقل إلى دار البقاء قبل أن يطبع الكتاب . والكتاب سيطبع متى تم ترتيبه وإعداده للطبع ، وهو يحتوى على أكثر من ثلاثين مبحثاً علمياً من أقلام كبار العلماء فى العالم .

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الرفدى

الرسائل فى الأدب العربى (١)

ينتاب النقد الأدبى فى هذين اليومين شبه أزمة ، باحجام الأقلام البارعة النافذة البصيرة من أن تصول وتجول فى ميدانه الفسيح ، مما أضعف النتاجين النقدى والأدبى معاً . ويؤسفنى — ويؤسف الغير أيضا — أن يتصدى للنقد والتعقيب قوم فرغت همومهم الأدبية فاضفوا على أنفسهم أثوابا من الأستاذية ؛ إذ ظنوا أن النقد هو ذلك المركب الطيع السهل الذى ينقاد لهم — بجرة قلم — فى طرفة عين وانتباهتها . . .

ولا نعيب أصحاب هذه النقدات ولا

---

(١) كتبت هذه الكلمة على أثر قراءة ما وجهه إلى الأديب « الجاحظ » فى تعقيباته بعدد الرسالة ٧٤٧ من نقد لمقدمة رسائل الزهاوى المنشورة بالكاتب المصرى فى العدد ٢٥ .

أرباب تلك التعقيبات هـ فكل خلق لما هو ميسر له — ولكن نعيبها حرصا منا على موازين النقد الأدبى من أن يعبث بها مادامت قد أصبحت - فى هذا الزمن الآلى - سداها ولحمتها ذلك الارتجال الرخيص .

والنقد كما تلقيناه عن شيوخنا الأجلاء ، ونذكر منهم على سبيل المثال : الصولى والقالى والألوسى وابن رشيق والعسكرى وابن قتيبة وطه حسين والعقاد وهيكل والمازنى وأضرابهم من الثقات العباقرة هو ذلك النتاج الضخم الذى لايقل روعة عن النتاج المنقود ، لا ذلك الصيد الذى يتخطفه الكاتب من هنا ومن هناك ، ويزهى بما يحمل بين يديه من زاد علم الله مقدار ماتكلف فى سبيله من جهد وعناء ، كأنه يحمل عصا الماريشالية ، أو عصى موسى .

ويحسن بهؤلاء الكتاب الفضلاء — وهم فى مستهل حياتهم الأدبية — أن يستخيروا الله جل وعلا ، فيما تنضح به قرائحهم ، ويعملوا جهد طاقاتهم على أن يقدموا للجيل مثل ما قدم لهم الرعيل الأول — من جهابذة النقد وفحول البيان — من زاد تعتز به اللغة فى تحرز لا يبلغ حد التزمت والتردد وحرية لا تبلغ حد السباب والتهاتر .

أجل ! لقد طلع علينا الأديب الشاب محمد فهمى عبداللطيف — الملقب بالجاحظ ! — بتعقيبته اللطيفة « الرسائل فى الأدب العربى » المنشورة بالعدد ٧٤٧ من الرسالة الغراء يعيب على فيها قولى — بالمقدمة التى قدمت بها الرسائل — «هذا لون من ألوان الأدب الجديد — فى أدب الرسائل — استحدثنا أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته . . . » فى أسلوب كريم لم أنسج على غراره فى يوم ما ، حتى فى ذلك اليوم الذى بدأت به حياتى الأدبية بما قدمته من دراسات نقدية للاعلام الأجلاء : حافظ والرافعى والزهاوى من بضع عشرة سنة . ولن أستطيع اليوم إلى ذلك سبيلا . ذلك لأننا لن نرجع القهقرى اطلاقا حتى نرضى للنقد — وهو ذلك الفن الرفيع — هذا الثوب الهلهل الرخيص . كأن الجدل الأدبى انتقل إلى جدل سياسى ، وكأن الكتاب — فى هذا البلد المسكين — أصبح كل وكدهم تبادل لواذع القول بدون رادع . وندع هذا جانبا ونرد على الأديب الناقد فى إيجاز :

نعم أيها الأديب . إن الأدب العربى مشحون بأدب الرسائل ، وعلى رأسها رسائل إخوان الصفاء ، ورسائل عبد الحميد الكاتب ، ورسائل ابن العميد ، ورسائل البلغاء ، وغيرها من آلاف الرسائل ، من رسائل العلماء والفلاسفة والأدباء ، حتى الجوارى والقيان . ولا ينكر هذا إلا من كان غير ذى علم . ولكنها أيها الأخ بالرغم من اشتمالها على ضروب من المعرفة شتى ، لا تعين على بناء شخصية كاملة ، أو بعبارة أدق لا يستطيع المترجم لصاحبها أن يصور صورته الحقة على ضوئها ، لا لأنها ضيقة الأفق أو محدودة المعانى ، بل لأنها لم تنشأ أصلا لتحقيق « الشخصية » بل أنشئت — كما تقول أنت أيها الأديب تماماً — للمطارحات والمعارضات ؛ ورسائلى مع الزهاوى لم تكن من هذا الضرب إطلاقا .

ولذلك أضع أمام عينيك — مرة أخرى — النص الكامل من المقدمة التى بترتها كما يبتر المخاتل الآية الكريمة « ولا تقربوا الصلاة » :

« قدمت إليك منها بالعددين الماضيين

يا صاحبي ما يسمح به المجال ، وهي بما تصل بين ثناياها من طرافة وجدة محببتين تفسحان لها مكانا بارزا بين أدبنا العربي الحديث ، جديرة بالدرس والتمحيص والوقوف أمامها طويلا للتملي بلونها الجميل .

« أجل ... فهذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل ، استحدثناه أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته . ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل اللهم إلا فى النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية فانها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بنماذجه البرائعة وأنماطه العذاب .

« لقد استطعت أن أجعل من الزهاوى مترجما لنفسه يصور حياته بقلمه بما لايدع مجالا للشك والريبة فى هذه الحياة العجيبة الخصيبة التى ظلت تكافح وتناضل فى سبيل اللغة والوطن حتى آخر نسمة منها . »

ها هى ذى المقدمة ليس فيها غير :

١ — إننى أزهى بهذه الرسائل لطرافتها وجدتها

٢ — واغتبرها بمثابة لون من ألوان الأدب الجديد فى أدب الرسائل — وقد سقط حرف « فى » أثناء الطبع — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى : نبشنا دفائنه وأحيينا مواته .

٣ — إننى استطعت أن أجعل من الزهاوى مترجما لنفسه ، وهذا هو لب الموضوع . فهل تنكر طرافة هذه الرسائل أيها الأخ الكريم ، وقد أعجب بها الأستاذ الزيات من قبل ؟

وهل تنكر أنها كلون من ألوان الأدب الجديد أحاول على ضوئها نبش دفائن « أدب الرسائل » ذلك الأدب الجميل ؟

أئذا جاء البارودى ، وهدر كما يهدر الفحول ، وآتته السماء نفحة علوية فشدا ثم شدا ، وأحيا موات الشعر ، بما ألصق به على أيدى النظامين والمتشاعرين من غثاثة وفهاهة ، ننكر عليه هذا الفضل بحجة أن اللغة العربية مشحونة بالمعجز من القول والخالد من القصيد ؟

أئذا جاء العقاد والزهاوى وفوزى المعلوف والهمشرى وابتدعوا ، القصائد الطوال الشبيهة بالملاحم ، تلك الغرر الخالدة فى الشعر العربى الحديث ، ننكر عليهم هذا الفضل ونقول لهم إن اللغة العربية مشحونة بالملاحم ، أو القصائد الطويلة النفس المتماسكة الموضوع ، التى نذكر منها على سبيل المثال ملاحم عمر ابن الفارض والبوصيرى وابن سينا وابن العربى وأضرابهم ؟

أئذا جاء متأدب متلى وحمق مع رجل من رجالاتنا فى العصر الحديث هذا التحقيق العلمى ننكر عليه هذا الجهد ونرميه بالجهل والغفلة والغباء ؟

أيجمل بك أيها الأديب ألا تعرف شيئاً عن حياة أساتيذك : الزيات وطه حسين والعقاد والمازنى وهيكل ؟

نعم . . . لقد جلى أستاذنا طه حسين طفولته ومرتع صباه — بل فترة شبابه — فى كتابه الخالد « الأيام » بريشته الساحرة التى لاتضارع . أما العقاد فكشف عن حياته فى سطور قلائل لا تغنى ولا تسمن من جوع .

فكيف تمر بنا هذه الحقبة ، من حياة أولئك الأبطال ، دون أن نسجلها أو نحاول تسجيلها ؟

وهل يليق بنا أن نقبل على دراستهم ودراسة آثارهم دون وعى وتمحيص وزاد من تحقيقاتنا الخاصة ، ونستوحى تلك الأوراق الجامدة ، وما تمليه علينا ، وعلى حفدتنا الأراجيف ثم الأقاويل ؟

ألم تسمع عن أشياخك القدامى وكيف كانوا يقطعون المهامه والقفار فى سبيل تحقيق حادثة أو مراجعة حديث ؟

ألم تسمع فى العصر الحديث عن « إميل لودفيج » الأديب الألمانى النابغة وكيف حج إلى النيل الخالد ، وظل فترة طويلة أو قصيرة عن كثب من منابعه وروافده لا لينظم قصيدة بليغة يهديها إلى فتاة حسناء كما يفعل الشعراء المائعون ، بل ليكتب كتابا أدبيا خالداً عن « حياة النيل » كنهر ، من الخلد ، وكبطل من أبطال التاريخ ؟

أيليق بنا أن تمر هذه الأحداث دون أن ننبس ببنت شفة أو نحرك ساكنا ؟ وهل ترى معى أيها الأديب ، أن حياة واحد من هؤلاء الأبطال لا تقل خلودا عن حياة النيل العظيم ؟

لندع هذا كله ونرجع بك إلى قضيتنا حتى لاتتهمنى بالجهل والغباء — سامحك الله — وأسألك كم من قرن مر على اللغة العربية وهى محرومة أدب الرسائل ؟

وهل أنكرت أنا أدب الرسائل فى اللغة العربية جملة واحدة ، حتى ترمينى بتهمة أنا منها براء ، وكان يجمل بك كأديب أن تناقشنى الحساب فى نبل من القصد وسمو من الغاية .

اننى ياصاحبى لم أنكر أدب الرسائل على اللغة العربية ، بل أنكرت عليها — وما زلت أنكر — أدب الرسائل ، الذى حرمه أدبنا العربى الحديث ، ذلك الذى يعين على تحقيق الشخصية وتبيان السمات والملامح فى وضوح وجلاء ، كما أوضحت فى صدر هذه العجالة ، وكما ذكرت فى المقدمة المنقودة بالحرف الواحد توضيحا لهذه النظرية . واليوم أقدم إليك رسالة أخرى تحمل معها خلاصة التحقيقات التى دارت بينى وبين ذلك الرجل العظيم ؛ فقد راعيت فى تحقيقاتى معه بادئ ذى بدء أن أكون (١) مقلا مقتصداً فى أسئلتى إياه حتى لا أبعث الملل فى نفسه من ناحية ، ومن ناحية أخرى كيما أصل إلى مفتاح شخصيته — سيكولوجيا — فى هدوء واطمئنان ، وأستطيع أن أصور حياته على ضوء هذه التحقيقات .

فاذا كنت أنا قد اقتضبت الشرح وجاء مبتورا كما فهمت أنت أيها الأخ الكريم ، فلى مندوحة فى خلو أدبنا العربى الحديث من مثل هذه التحقيقات ، أو بعبارة أخرى من تلك التراجم التى نفتقر إليها كل الافتقار .

بقيت تهمة شائنة يطلقها المتزمتون كل يوم فى وجوه أدباء الشباب ، كالتى رمى بها « الجاحظ » فى قوله : « ومسكين والله هذا الأدب العربى ، كأن الله كتب عليه فى هذه الآونة أن يكون هدفا للدعوى من كل فارغ الرأس ومقصداً للاتهام من كل جاهل . وأنا لا أحسب أن فى نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربى ، ولكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربى هو ما يقرءونه فى الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية فى مقررات المدارس . فاذا ضممت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلىء بها الرءوس الفارغة وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء . وإنه لداء تفشى بين شباب العصر . فليس

---

(١) هاتان الكلمتان ذكرتهما خطأ بالكاتب المصرى هكذا : «أكون مقالا» .

أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم ويتنفج بالدعوى العريضة ويمد أنامله فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ الأدب العربي من بدايته إلى نهايته وينكر أن يكون هذا الأدب أدبا . »

إلى آخر هذه الرواشم البغيضة التى يسمون بها جباه هؤلاء الشبان الساكين . ونسى هؤلاء القوم — أو تناسوا — أن هؤلاء الأدباء يعملون ليل نهار فى هدوء وصمت ، لاعلاء شأن اللغة ، وسيخلقون منها حتما بفضل الجلد ونكران الذات خلقا آخر ، وأن نتاجهم الآن رغم التثبيط والاستهانة به لا يقل روعة عن نتاج إخوانهم من أدباء الغرب ، وأن الصدارة والمجد والشهرة كلها كلمات عذبة تطوف حولهم — كالأحلام الجميلة — لا يركنون إليها ولا يأبهون بها ، مثلهم فى ذلك مثل المتصوفين أو فقراء الهنود .

ونسوا أنهم لا يكتبون إلا باللغة العربية ، وأنهم ليسوا مبرزين إلا بفضل عونها ومواردها العظيمين وسحرها الخالد وجمالها المنقطع النظير .

هلا ذكرت بالخير أمثال : نجيب محفوظ ، ويحيى حقى ، وعلى باكثير ، وعادل كامل وجوده السحار ، وحكمت محمد ، وأضرابهم من الشبان المبرزين فى أدب القصة ؟

وهل نوهت بشاعرية صالح جودت ، والشابى ، والصيرفى ، والهمشرى ، والتيجانى بشير ، والمعلوف ، ومحمد فهمى وأضرابهم من الشبان المبرزين فى الشعر الحديث ؟

لقد عاش من عاش منهم فى عزلة قاتمة ، ومات من مات منهم فى غمرة حالكة :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

يحلو لبعض الأدباء أن يطلق عليهم لقب السدنة والحراس على اللغة العربية دون أن يتقدموا إليها بنتاج يذكر بالخير لهم .

أجل . . . حسبهم أعباء هذه الحراسة . وكفى ! . . .

كلمة صغيرة وأخيرة أسرها فى أذنك أيها الأديب « الجاحظ » إن : رسائل الزهاوى لها مقدمة سبقت هذه المقدمة التى نحن بصددها الآن والتى صببت عليها جام غضبك ، فأرجو الرجوع إليها ، وأصدقك القول انها حازت رضاء أستاذنا العظيم الدكتور طه حسين بك ، وكذلك هذه المقدمة الثانية ، فماذا تريد من قولك : «فان كان هذا الدكتور يرى هذا ويعتقده فانى على استعداد لمناقشته فى هذا الرأى » .

ألا يجدر بأدبك الرفيع أن تنازل أديبا مغموراً مثلى وتطمع فى نزال أستاذك العظيم ؟ إن الرجل فى صومعته الفكرية وفى شغل عنك وعن هذرك أيها « الجاحظ » ويقدم للغة العربية زاداً تعتز به فى العالمين .

حسبك اليوم ما قدمت إليك . وتقبل تحية خالصة من تلميذه المخلص .

أحمد محمد عيسى